الأغراض الشعرية الجديدة

1. المجون:

إن الماجن هو من يخلعُ ثوب الحياء ويفعل ما يشاء من الاعمال المنكرة التي لاتبيحها الأديان السماوية ولا تقبل بها المجتمعات الفاضلة.

لقد اتسم المجتمع جانب من المجتمع العباسي بالمجون والاستهتار بالقيم الخلقية النبيلة، وكان وراء انتشاره الزنادقة والشعوبيون، والمتحللون من الدين والعرف والتقاليد، وكثرة الجواري المتهتِّكات اللواتي اشتهرن بالاخلاق السيئة، وكذلك الغلمان الذين كانوا قد عُرفوا بالفساد وانحطاط الاخلاق، وفضلاً عن ذلك الخلاعة والمجون بسبب انتشار الحانات ومجالس الشراب التي تضم الفجَّارَ والمجّان من الزنادقة الذين خلعوا حشمة الوقار، وسبب آخر أقوى من ذلك كله هو الحرية المطلقة إذ لم تقف الدولة العباسية بوجه الفساد ولم تتخذ للماجنين ديواناً لمحاسبتهم كما فعلت مع الزنادقة.

جاهر الكثيرون بالمجون وارتكاب الفواحش والحرام، ولعلَّ من أكثرهم شهرةً في هذا المجال (أبا دُلامةَ، وأبا نوّاس، ومطيع بن إياس، والحسين بن الضحَّاك، وحمَّاد عجرَد، ومسلم بن الوليد، ووالبة بن الحُباب، وأُبان اللاحقي، والفضل بن عبد الصمد الرُّقاشي)، والخارَكي الذي أفسد جيلا برمّته كما يقول أبو نواس: **"ما مجنتُ، ولا خلعتُ العذارَ، حتى عاشرتُ الخارَكي، فجاهرَ بذلك ولم يحتشم، فامتثلنا نحن على ما أتى به وسلكنا مسلكه، ونحن ومن يذهب معنا عيالٌ عليهِ".**
إن العصبة الماجنة اتخذت في أدبها اسلوب التصريح لا التلميح ، يقول مطيع بن إياس:

اخلعْ عَذارَكَ في الهوى — واشرب معتَّقَةَ الِّدنانِ
وَصِلِ القبيحَ مُجاهِراً — فالعيشُ في وصلِ القِيانِ

كانت مجالس المجَّان في غاية الخلاعةِ والتهتُّكِ والرذيلة، وكان يستضيفُ كلٌّ منهم الآخرين عنده ويغريهم بألوان المجون ليقبلوا ضيافته، وكان الرُّقاشي من دعاتهم البارزين، وقال عنه ابو الفرج الاصفهاني: **"وكان مع تقدمه في الشعر ماجناً خليعاً متهاوناً في مروءتهِ ودينِهِ، وقصيدته التي**

يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلةٌ في أيدي الخاصةِ والعامة".

وبذلك أصبحت المجانة والخلاعة والتهتُّك وركوب المعاصي حالةً طبيعية لأناسٍ تمرّدوا على دينهم واستخفوا بالقيم والتقاليد وباعوا أنفسهم للشيطان كما قال والبة بن الحُباب:

حتى إذا ما انتشينا	**وهزّنا إبليسُ**
رأيتُ أعجبَ شيءٍ	**منَّا ونحنُ جلوسُ**
هذا يقبِّلُ هذا	**وذاكَ هذا يبوسُ**

2. الخمريات:

لمَّا أقبل العصر العباسي بتَرَفِهِ ولهوهِ ومجونهِ وانفتاحهِ على أقوامٍ كثيرةٍ ولاسيّما الفرس والروم، شاعت الخمرة وتوسَّعت مجالسها وكثُرَت حاناتها وأنديتُها، وزادَ الاقبالُ عليها، وتوفَّرَ الشعراءُ على وصفها بصورةٍ لم تحدث من قبلُ، ويبدو أنَّ الحريةَ والتساهل كانتا وراء هذا الاقبال، ولم يكن الخلفاءُ بمعزلٍ عنها. فإنَّ أكثرهم شربها، ويقال إن أبا جعفرٍ المنصور تناولَ النبيذَ مرّةً واحدةً بعدَ أن زيَّنها له أحدُ الاطباء، **" فشربه في اليوم الأول فاستطابَهُ، فعادَ لهُ في اليوم الثاني، وزادَ منهُ فخَدَرَهُ، ثم عاودهُ في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهرِ والعصرِ والعشاءِ. فلمّا كان من غدٍ دعا بما عنده من الشراب فَهَراقَهُ، ثمَّ قال: ما ينبغي لمثلي أن يشربَ شيئاً يُشغِلهُ ".**

من شعراء الخمرة المشهورين قبل أبي نواس : (علي بن الخليل، وعكاشة العَميّ، وابن ميّادة)، ومهما قيل عن هؤلاء، فإنَّ شعر الخمرة تطوّر تطوّراً كبيراً، على يدِ أبي نوّاس، حتى عُدَّ زعيم شعراء الخمرة، وبقي شعره على مرَّ العصور من حيث قوة الطبع إلى جانب بساطة الاسلوب، وحلاوة اللفظ ورشاقةِ الوزن.

عشِقَ أبو نواس الخمرةَ عشقاً عنيفاً قوياً، ووصلَ شعورهُ نحوها إلى درجة التقديس، فقالَ:

أثنِ على الخمرِ بآلائِها　　　وسمِّها أحسنَ أسمائها

لاتجعلَ الماءَ لها قاهراً　　　ولاتسلِّطها على مائِها

منذ أول العصرِ نجد الخمرَ تقترن بالغناء والرقص، إذ تحوَّل المقيِّنون في كرخِ بغداد وفي البصرة والكوفة بدورِهم إلى حاناتٍ كبيرةٍ للشربِ والقصف كلَّ مساء، فكان الشعراء يؤمونها للشراب على غناء القيان وضربِ الطبولِ والدفوف، لذلك فإنَّ شعر الخمرة يشكل ديواناً كبيراً يتناول وصفها وما يتصل بها من ندامى وسقاة وكؤوس ومجون ... وقد أطلق عليه إسم أدب الديارات، ويقصدُ به: الشعر الذي كان يتردَّدُ حول مجالس الشراب في الأديرةِ التي كانت منتشرةً في العراق والشام ومصر. ومن أشهر تلك الدور دار ابن رامين المقيّن في الكوفة وكان يختلف اليه للشراب والسماع مطيع بن إياس وصحبه من الشعراء وابن المقفع، وعلى شاكلتها دار إسماعيل القراطيسي المقيّن في بغداد، وكانت مألفاً لأبي نواس والحسين بن الضحاك وأبي العتاهية وغيرهم من الشعراء. وكانت الأديرةُ تقدم لروّادها الخمرَ المعتَّقة، وقد تحولت قاعات شرابها إلى مجتمعاتٍ لطلابِ الخمر والمجون من الشعراء وغيرهم، متناثرةً في ضواحي بغداد وغيرها من مدن العراق، ونرى الشعراء يذكرون خمرها ونشوتها ورهبانها وراهباتها، من مثل قولِ أبي نواس:

يادَيرُ حِنَّةَ من ذاتِ الأُكَيْراحِ　　　مَنْ يَصحُ عنكِ فإني لستُ بالصاحي

رأيتُ فيكَ ظِباءً لا قرونَ لها　　　يلعبنَ منا بألبابٍ وأرواحِ

3. الزهد والتصوف:

ليس معنى ما تقدَّم من الحديث عن الزندقة والمجون أن المجتمع العباسي كان مجتمعاً منحلاًّأسلمَ نفسه للإلحادِ و الشهوات، فالإلحاد والزندقة إنما شاعا في طبقةٍ محدودةٍ من الناس كان جمهورها من الفُرس، وكانت موجة المجونِ أكثرَ حدّةً، ولكنها لم تكن عامة في المجتمع، بل كانت خاصة بالمترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنين، أما عامة الشعب فإنها لم تكن تعرف زندقةً ولا مجوناً.

فإذا كانت حانات الكرخِ ودور النخاسة والمقينين به اكتظت بالجواري والإماء والقيان والمغنين، فإنَّ مساجد بغداد كانت عامرةً بالعُبَّاد والنُسَّاكِ وأهل التقوى والصلاح، وكان في كلِّ ركنٍ منها حلقةٌ لواعظٍ يذكِّرُ بالله واليوم الآخر. وكان من الوعاظ من يقتحم قصرَ الخلافة ليعِظَ الخلفاءَ على نحو ما هو معروف عن عمرو بن عبيد في وعظهِ للمنصور، وصالح بن عبد الجليل في وعظهِ للمهديّ، وابن السمَّاك في وعظه لهارون الرشيد، ومن كلامه: **" الدنيا كلها قليل والذي بقي منها في جنبِ الماضي قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا القليل".**

وكان الوعظ في هذا العصر يلتحم بالقصص للعظة والعبرة، وقد ازدهر الوعظ القصصي في عصر بني أمية عند الحسن البصري وأضرابه، وتكامل ازدهاره في هذا العصر، وكان بجانب هؤلاء القُصَّاص الواعضون كثيرٌ من النُسَّاك، الذين كانوا منتشرين في كل الامصار، وكانوا يحيون حياة زهدٍ خالصة كلها تبتُّل وعبادة وتقشف وانقباضٍ عن الاستمتاع بالحياة وملذاتها انتظاراً لما عند الله من النعيم السرمدي الذي لايزول. ومن أشهر النسَّاك في هذا العصر سفيان بن عُيَيْنة ت 198هـ ، وكان يقول: **"فِكرُكَ في رزقِ غدٍ يُكتَبُ عليكَ خطيئة"** ، ومن أمثال النُسَّاك أيضاً عبدالواحد بن زيد ت 177هـ وهو الذي أنشأ أول صومعةٍ للناسكين في عبادان بالقرب من الكوفة، وفيهم وفي رباطهم يقول ابن العتاهية :

سقى الله عبادان غيثاً مجلّلاً   فإنَّ لها فضلاً جديداً وأوّلا

أخذت موجة النُّسك تنبثق من بينها مقدمات نزعة التصوف متمثلةً في شيوخٍ كثيرين، في مقدمتهم إبراهيم بن أدهم البلخي ت160هـ، ورابعة العدوية ت180هـ ، ومن أشهرهم معروف الكرخي ت 200هـ من أهل كرخ

بغداد، ومن مأثورِ كلامه: **" مَن كابرَ اللهَ صرَعَهُ، ومَن نازعهُ قمعهُ، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه ومن تواضعَ له رفعهُ"**.

نضجَ التصوفُ في هذا العصروأخذت مقدماته في البروز والظهور، فقد تفتحت تباشيره الاولى، وقد حاولَ بعضُ المستشرقين أن يربط ربطاً وثيقاً بين زهدِ النسَّاكِ وبين زهد الرهبان المسيحيين الذين كانوا منتشرين في العالم الاسلامي وخاصةً في العراق والشام ومصر، ولكن الزهد الإسلامي يختلف عن الزهد المسيحي في جوهره، إذ الزهد عند المسيحيين ورهبانهم يقوم على أساس من فكرةِ الخطيئة، والاسلام لايُقرُّ هذه الفكرة ولا ما تؤدي إليه من تعذيب الجسد، فإنَّ لِبَدَنِ المسلمِ عليهِ حقّاً، ومن أجلِ ذلك نهى الإسلام عن العزوبةِ، بينما دعت إليها المسيحية.

لقد حاولَ (جولد تسيهر) أن يربط بين مقدمات نزعة التصوف الاسلامية وبين تعاليم الأفلاطونية الحديثة وما يتصلُ بها من مذهب الفيض ووحدة الوجود، كما حاول أن يربط بين هذه المقدمات وبوذية الهند، إذ رأى في **سيرة (ابراهيم بن أدهم)** التي صوَّرها بعض من تحدثوا عن أخباره ما يحكي محاكاة تامة سيرة (بوذا)، إذ يُقال: **إنه كان ابن ملك من ملوك بلخ ورأى من إحدى نوافذ قصره رجلاً مسكينا فتدبَّر أمره، ولم يلبث أن خلع ثوب الإمارة إلى الأبد ولبِسَ أطماراً باليةً وفارق قصره وزوجهُ وأولادَهُ وأوى الى الصحراء سائحاً مطوِّفاً عابداً ربّه**. وهي سيرة لابن ادهم صنعتها له الأجيال المتأخرة، فلا يصحُّ أن تُحمَلَ على العصر العباسي الأول ولا أن تتخذَ دليلاً على أن متصوفته كانوا يتأثرون البوذية وماترويه عن (بوذا) الناسك، والحق إن (جولد تسيهر) يبالغ في كلّ ما رآه من هذا الربط بين مقدمات التصوف الاسلامي والبوذية من جهة، والأفلاطونية من جهةٍ أخرى؛ لأنَّ التصوف لايزال يستمد من معين الإسلام ذاته.

على أنّ هذا الزهد الاسلامي وما ارتبط به من مقدمات التصوف كانت تجري بجانبه أسراب من زهدٍ فاسد هو زهد الزنادقة الذين اعتنقوا تعاليم المانوية، ومعنى ذلك أن العصر العباسي الاول شهدّ لونين من الزهد: زهداً إسلامياً خالصاً أُعِدَّ للنسك والتصوف، وزهداً مانوياً مارقاً، وهو الذي يمكن الربط بينه وبين البوذية؛ لأن المانوية تتأثر بها منذ القِدَم، وكان من تمام النُّسكِ في هذا الزهدِ المنحرف أن يعيش الناسك من سؤال الناس.